قرطاس

■ أحمد عبد الحسين

عدالـــــة

التغيير قادم في سوريا، بانتْ ملامحه منذ أن سُفك دم كثير، فما أن يسيل دمٌ حتى تبدأ عجلة التأريخ بالدوران، كأنما التأريخ، ذلك الشيخ الخرف، لا يستيقظ من نومه إلا على صوت إراقة دم ورائحته؛ أتذكر أني قرأت مقولة لكوجيف عن "عدم أهمية" أحَداث ١٩٦٨ في باريس، قال: "ما دام لم يُرقْ دم فلن يحدث شيء كبير!". ولأنّ دماً أكثر مما يجب أريق في سوريا هذه الأيام فسوف تحدث هناك أشياء وأشياء.

محطة سوريا ككل محطات "الربيع العربيّ" بدأتْ بهتاف لبضعة شبان شجعان، وانتهتْ بثورة، بدأتْ بتوق إلى الحرية والإصلاح وانتهتْ بالمطالبة لا بتغيير نظام الحكم فحسب وإنما بإزالة كلّ آثاره، بدأتْ في حيّ هامشيّ بدرعا وانتهتْ في مجلس الأمن، بدأت بصوت علماني خافتْ وستنتهي بسلطة إسلامية زاعقة.

بالضدّ مما ظنه السيّد رئيس الوزراء نوري المالكي الذي قال قولته العجيبة الغريبة: "إن الثورة يبدأها الإسلاميون ويحصدها سواهم!" سارتْ كلّ أحداث الربيع العربيّ في مصر وليبيا وتونس، وتسير اليوم في سوريا على النحو الآتي: "تبدأ الثورات علمانية ليبرالية ويأتي الإسلاميون على الجاهز ليتسلطوا". لكنّ هؤلاء الإسلاميين لا يغتصبون سلطة أو يأخذونها غلاباً، لا يحركون دبابة ولا مدرعة للوصول إلى القصور الجمهورية شأن أسلافهم القوميين، إنهم يصلون شرعياً عبر صناديق الاقتراع بانتخابات تحرز حداً كبيراً من النزاهة والصدقية.

الجمهور العربيّ اليوم إسلاميّ في أعمه الأغلب، وإذا كان من يفجّر الثورات في العالم الافتراضي أولاً "الفيسبوك وتويتر" ثم في العالم الواقعيّ، هم القلّة القليلة من علماني العرب وليبراليهم، فإنّ تضحياتهم تلك لا تصلح أن تكون رافعة لإيصالهم "أو إيصال متبنياتهم الفكرية" إلى الحكم، آلية الوصول إلى الحكم في يد الأغلبية، والأغلبية في يد الإسلاميين الذين احترفوا هذه الأيام مهنة مربحة ومريحة: انتظار أن يثور الشبابُ لتسقط الثورة في أيديهم سلطة هنيئة سائغة رزقاً من غفور رحيم.

ليس في هذا الكلام انتقاد للثورة ولا لتضحيات شبانها الأشاوس، بل لا نملك حتى أن ننتقد الإسلاميين أنفسهم، فهم استثمروا آلية شرعية: وجدوا لهم جمهوراً جاهزاً لم يتعبوا أنفسهم في تكوينه فاستغلوه على أكمل وجه. هذه هي الديمقراطية التي تتشابه مع الثورة في كونها تأكل أبناءها هي الأخرى أيضاً.

حين أسمع أحداً من إسلاميينا "الشيعة" يبدي تخوفه من التغيير القادم لا محالة في سوريا، ويصفه بالطائفية، تعتريني رغبة في الضحك، مدهش كيف أن جماعتنا ينسون أنّ ذات الآلية التي أوصلتهم إلى الحكم ستوصل إليه غرماءهم من الطائفة المضادة، وأنّ ذات الجمهور "الجاهز والمفصل على مقاسهم" له ما يناظره في بلدان أخرى.

من يعترض على طائفية أكلتْ ثورة الشباب العلمانيين في مصر وتونس وليبيا وسوريا، يجب أن يعترض أولاً على طائفية أكلتْ وتأكل من تضحيات كثيرة لم يشترك فيها العراقيون فقط بل جيوش أتتْ من وراء البحار لتنقذنا من أنفسنا.

قواعد اللعبة واحدة هنا وهناك، ومن الإنصاف أن نسمح لغريمنا باستخدام نفس نوع وحجم السلاح الذي نحاربه به. من أجل أن تكون اللعبة الطائفية عادلة. أليس كذلك؟

صـــراع عنيـف بـين مشـروعـين!

بعيداً عن تفاصيل تاريخية و تنظيرات، يرى متخصصون متنوعون أن الاحتكارات الغربية في الظروف السابقة، إضافة إلى أنظمة المنطقة.. شجّعت و هيّأت السبل لحكم فردي في العراق لضبط تأمين مصالحها، و كان ذلك لصدام حينها بعد الاتفاق عليه بطريق متعرج، لتشييد دكتاتورية فردية في إطار نظام جمهوري، يأتي على ظهر ثورة بيضاء فريدة اتفق على إخراجها لقطع الطريق عن بديل شعبي تقدمي متآلف كان موجوداً.. و سار الدكتاتور المرتقب منذ بدء فرصته، على طريق تصفية منافسيه و معارضيه و تقريب من أيده منهم في المنعطفات المهددة لموقعه، مهما كان انتماؤهم الفكري و القومي و الديني والمذهبي.

د. مهند البراك

و بمسيرة حكمه ذلك، بطش صدام بلا رحمة بكل شخصية وطنية عراقية. باختلاف طيف انتمائها. كان يمكنها أن تشكّل عاملا يجمع ويحرّض على معارضة أو يبدي آراءً منطقية لتغيير مسار حكمه.. موظفاً لذلك تجارب البلاد و المنطقة الغنية بالنفط عبر مستشارين، حتى وصل تزايد استقطاب الدكتاتورية طريقا سدّ مشاريع الإصلاح للصالح الوطني و لتلبية المتطلبات الدولية الضرورية و مزّق الوحدة الوطنية، فعملت الاحتكارات على إزالة صدام و على الحفاظ على آلية بناء الدولة الدكتاتورية، بمراهنتها الطويلة على انقلاب قصر يطيحه و المحيطين به فقط..

و يرى محللون بأنه اثر عمليات الحصار و الرقابة ثم بعد إسقاط الدكتاتورية بحرب خارجية.. واجهت الإحتكارات بشكل مباشر درجة عمق الفساد الذي وصله حكم الدولة الدكتاتورية و أوصل به المجتمع من جهة، و واجهت الرفض السياسي و الشعبي للاحتلال الأميركي من جهة أخرى.. الأمر الذي أدى بها إلى أن تعيد النظر بأسلوب بناء الدولة الجديدة بما يؤمن مصالحها، بشعارات تناسب العهد الدولي الجديد و المحيط الإقليمي.

فأبرزت مشروع الدولة البرلمانية الاتحادية الذي أجمعت قوى معارضة الدكتاتورية عليه قبل الاحتلال كبديل. و لكن بشرط أن يكون على أسس ديموغرافية طائفية و عرقية فرضتها، و كأن تلك الأسس هي الأسلوب الوحيد لقيام الدولة الاتحادية تلك، في إطار خطط رمت ضمن ما رمت.. إلى إلهاب المنطقة بـ (الفوضى الخلاقة) لمواجهة تحدياتها، دون حساب المتطلبات الحقيقية للمصالح الوطنية العراقية أو بالدوس عليها لتحقيق أهداف ستراتيجية لم تعلن كلها، سواء في العراق أو في المنطقة.. رغم أنواع الشعارات و الوعود. عقّد ذلك ظهور لاعبين إقليميين متصارعين لم تحسب الإدارة الأميركية بمحاصصتها حسابهما بحجمهما المطلوب: إيران الشيعية و المحيط العربي. التركي السني، اللذين التهب صراعهما متسبباً إضافة إلى ما سببه الاحتلال...

تصاعد الإرهاب و انعدام الأمن في البلاد، تزايد الضائقة المعاشية للغالبية العظمى من الجماهير (الانشغال) عن العمل الجاد لتعبئة أوسع الجماهير و لتحطيم أسس الدكتاتورية و مفاهيمها التي استمرت بالتواصل لعدم وجود قوانين ملموسة قابلة للتطبيق تتصدى لها..

ليطغى الصراع الإيراني. الأميركي و الشيعي. السنّي، على صورة التطورات و الصراعات وليصل إلى تزاحم منظومات الإنذار و المنظومات الصاروخية في دول الخليج العربية. بمليارات فلكية من العملة الصعبة. و تزاحم قطع البحرية الأميركية في الخليج.. في مواجهة الترسانة العسكرية الإيرانية المتصاعدة ذات التصريحات النارية المهددة بقطع مضيق هرمز..

ثم تصريحات الجنرال سليماني (قائد فيلق القدس) بتحكم إيران بدول المنطقة و قراراتها، التي نالت استنكاراً جماهيرياً واسعاً رغم توضيحات قيادة الحرس الإيراني (السباه بازداران) و تراجعها عنها.. في وقت يرى محللون في تصريحات سليماني بكونها إشارة إلى تزايد احتمال تشكيل حكم عسكري إيراني بديل لحكومة نجاد المدنية لخلافاتها مع خط ولاية السيد "علي خامنئي"..

و يرى خبراء انه بينما تمارس إيران سياسة حافة الهاوية و التهديد.. تسير الإدارة الأميركية بلا ضجيج على خطى مشروع بيكر. كارلتون الداعي إلى التعايش مع دول المنطقة على أساس التنازلات المتبادلة بما يؤمن المصالح الأميركية بالأمن و الطاقة.. معتمدة في ذلك ليس على قوات المارينز، التي قلّصت أعدادها بوضوح و إنما على أجهزة معلوماتها و على تفوقها التكنولوجي. الإلكتروني العسكري الذي يحقق لها أهدافا منتخبة فقط، بعد "انتهاء عقد الحروب.. اثر انتهاء خطر القاعدة على الولايات المتحدة و انتهاء بن لادن" و إعلان الرئيس الأميركي اوباما عن استعداده للتعاون مع أية قوة و جهة يمكنها أن تحقق نفعاً للأمن القومي الأميركي و تطور اقتصاده. راجع خطاب اوباما عن حال الاتحاد في ٢٤/ ١/ ٢٠١٢..

و يرون أن الإدارة الأميركية تعلن بذلك عن استعدادها لعقد صفقات و تنازلات متقابلة للتعويض عن خسائرها في خوض و تمويل الحروب، و هي تستعد للانتخابات القادمة.. و أنها قد تبدي استعداداً لتنازلات متقابلة مع إيران في القضية العراقية.. و يتساءلون هل تتنازل إيران في إطار سياستها بالاحتواء.. لقيام حكم تعددي اتحادي عراقي حقيقي يعتمد التبادل السلمي للسلطة و يؤمن مصالحها. بما لايضر بالمصالح الأميركية المذكورة أم أن هناك إصرارا على حكم فردي يحقق ذلك.. في ظروف تتصارع فيها الاحتكارات الغربية ذاتها على شكل الدولة العراقية المزمع قيامها. اتحادية برلمانية أم دكتاتورية. في ظل غياب حركة جماهيرية شعبية مؤثرة و تعليق الدستور؟

فيما يحذّر أصدقاء للشعب الكردي من أن التعامل مع الدولة الإيرانية و الإدارة الأميركية قد يحمل مخاطر من تكرار مآسي اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ التي عقدت في غرف موصدة الأبواب، حين سحبت إدارة نيكسون. كيسنجر نفسها من القضية الكردية و من حقوق العراق في شط العرب، بعد أن تحققت مصالح الأمن القومي الأميركي منها.

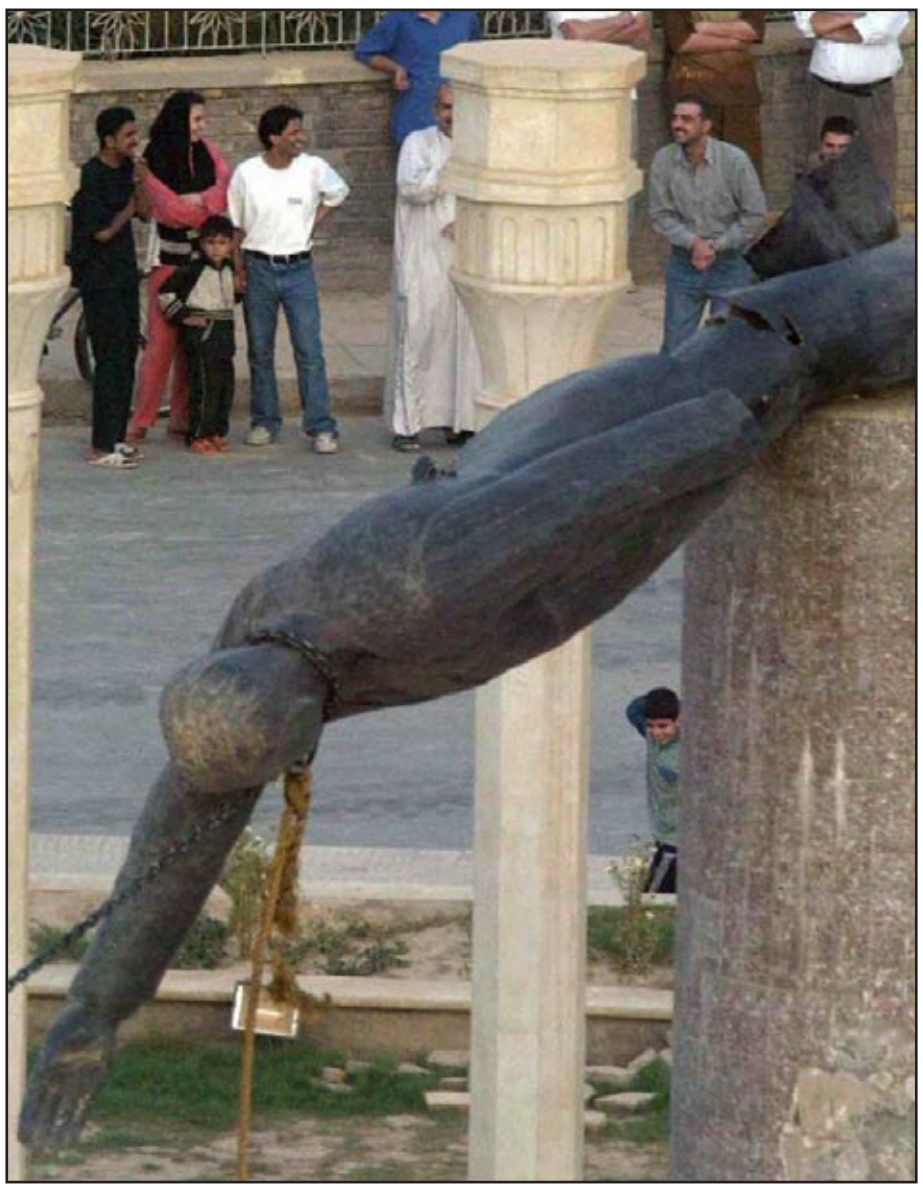

التغيير العراقي كان فاتحة لصراع اقليمي دولي

كاريكاتير

■ عادل صبري

نـحـن وتـركـيـا

محمد صادق جراد

لابد من الاعتراف بأن التركيبة الطائفية التي اعتمدتها العملية السياسية في العراق تعد المشجع والمحرض الأول على التدخلات الخارجية من قبل دول إقليمية تتذرع بالدفاع عن مكونات معينة وتتمادى في تدخلاتها السافرة والمتكررة.

ولطالما كان لتركيا الجارة الشمالية للعراق دور سلبي من خلال التدخلات في الشأن الداخلي العراقي عبر حقبة زمنية طويلة، ويستند هذا الدور السلبي للخلفية التاريخية المترسخة في الذهنية التركية والمتمثلة بالهيمنة العثمانية على العراق كولاية تابعة لها والنظرة المتعالية باتجاه هذه الولاية وهذا ما عكسته تصريحات اردوغان الأخيرة.

وفي ظل التجاذبات السياسية التي تطفو على سطح التجربة الديمقراطية في العراق يتعرض البلد إلى هذه التدخلات من قبل الأنظمة والحكومات في الدول المجاورة حيث تمر هذه التدخلات من خلال تلك التجاذبات لتساهم في تصعيد الموقف المتأزم وتؤجج الصراع الطائفي.

ولم يكن تصريح اردوغان هو التدخل التركي الأول بل سبقته تجاوزات واعتداءات على المواطنين العراقيين من الكرد في القرى الحدودية المجاورة لتركيا حيث قامت الطائرات والمدفعية التابعة للجيش التركي بقصف القرى وقتل المدنيين الأبرياء بحجة مطاردة مسلحين داخل الأراضي العراقية. وهنا علينا أن نؤكد على حقيقة مهمة جدا وهي إن الرد من قبل الحكومة الاتحادية حينها لم يكن بمستوى الاعتداءات ولم تحظ تلك التجاوزات بموقف سياسي موحد وحازم من قبل القوى السياسية الأمر الذي شجع الأتراك على التمادي في تدخلاتهم بالشأن العراقي ليلعب اردوغان اليوم دور الشرطي الطائفي الحريص على أبناء العراق من خطر الحرب الطائفية في الوقت الذي يمارس اردوغان وحكومته تمييزا عنصريا صريحا في تركيا عبر اضطهاد الكرد وأبناء الطوائف الأخرى الذين مازالوا يطالبون الحكومة بتعديل المواد الدستورية التي تجعلهم مواطنين من الدرجة الثانية حيث نصت المادة ٦٦ من الدستور التركي على أن كل من يعيش على الأرض التركية فهو تركي بغض النظر عن انتمائه حيث تحصر هذه المادة المواطنية التركية فقط بالتركي (المعيار القومي)،ومن جانب آخر يقوم الجيش التركي هذه الفترة بحملات مداهمات واعتقالات ضد ناشطين مدنيين على خلفيات طائفية.

ويعتقد البعض أن تركيا تعيش اليوم مرحلة من الفوضى في العلاقات الخارجية فمنذ أن فشلت في الانضمام إلى الاتحاد الأوربي توجهت هذه الدولة متعددة الطوائف وصاحبة الموقع الستراتيجي إلى التدخل في الشأن العربي وبدأت رحلة خسارة الحلفاء فكان حصادها الأخير من الربيع العربي علاقات سلبية مع سوريا عبر تدخلات تركيا السافرة في الشأن السوري ودعمها مشروع تغيير موازين القوى في المنطقة الذي تسعى له دول خليجية متنفذة وتسخير الحدود التركية للمسلحين المعارضين للنظام السوري، إضافة إلى خسارة تركيا للعلاقات مع جيرانها الآخرين مثل إيران والعراق وروسيا،وأخيرا تشهد الساحة التركية أزمة جديدة مع فرنسا على اثر طرح الحكومة الفرنسية مقترح قانون معاقبة منكري الإبادات الجماعية ضد الأرمن في تركيا والقاضي بالحبس لمدة سنة وغرامة مالية لكل من ينكر هذه الجريمة التي راح ضحيتها مليون ونصف المليون ارمني. حيث أثار هذا المقترح حفيظة الأتراك لتنطلق أزمة سياسية بين البلدين هددت تركيا على أثرها بقطع العلاقات مع فرنسا ليضاف هذا البلد الأوربي إلى قائمة الدول التي تشهد علاقاتها مع تركيا أزمات سياسية.

بعيدا عن التخبط الدبلوماسي التركي لابد للقوى السياسية في العراق من موقف موحد وحازم ضد هذه التصريحات علاوة على ضرورة توحيد الصف وحل المشاكل الداخلية وعدم الاستقواء بالأجنبي على ابن الوطن. وعلى أردوغان أن يفهم بأن العراقيين قد تجاوزوا مرحلة الحرب الطائفية وهم اليوم قادرون على حل مشاكلهم دون الحاجة إلى الوصاية.

كـــــزارع بـــغـــير أرضـــــه!

محمود النمر

الحقيقة الدامغة التي لايفهمها الساسة العراقيون ممن كانوا خارج جمهورية الخوف، واحتلوا المراكز المرموقة والمؤثرة وقلبوا الحياة العراقية رأساً على عقب، بعدما أحرقها صدام وأعوانه البعثيون والمرتزقة، الذين جاؤوا من بعدهم، هذه الحقيقة تكشف عن "الجهابذة" اللصوص اللذين أجهزوا على كل شيء، وعاثوا "فساداً" في جميع مرافق الحياة.

هم يخشون هذه الكلمة ويضعونها في دائرة "التحريم" وتعتبر من الموبقات التي تقودهم إلى جهنم، ذلك هو المصير الذي ينتظرهم إذا ما عاقبتهم الجموع الغاضبة والجائعة من العراقيين الذين اكتشفوا اللعبة بعدما خدعوهم أكثر من مرة وما زالت الخديعة تفعل وتعمل وتنسف ما تبقى بين المتصارعين على المال العام، ربما من الرأفة أن نطلق عليهم اسم "عصابات اللصوص" فقط.

للإمام علي خطبة يناشد فيها جموع المسلمين بحكمة واعظ،وعقل متوقد، وسعة صدر، وسحق فتنة، في كتاب "نهج البلاغة" يقول فيها: أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرّجوا عن طريق المنافرة،وضعوا تيجان المفاخرة، أفلح من نهض بجناح، أو استسلم فأراح، هذا ماء آسن، ولقمة يغص بها آكلها، فمجتني الثمرة لغير وقت إيناعها، كزارع بغير أرضه". لو اتعظ الساسة الجدد بهذه الخطبة التي يجسد فيها الخليفة الرابع معنى الإيثار والحكمة ورص الصفوف، لصلح حالنا، وللأسف إن أكثر من في اللعبة السياسية يعتنق الإسلام ديناً ومنهجاً ولا أتصورهم ينتمون لا من بعيد أو قريب لهذا الفكر.

الجميع يدرك ما آلت إليه الأمور من تداعيات دراماتيكية ألقت بعاتقها على المواطن العراقي المتأزم، الذي تجاذبته الصراعات وهو لاحول له ولا قوة سوى تلقّي الضربات الماحقة والحرائق والانفجارات والفجائع، من تنظيم القاعدة والتنظيمات الأخرى وهو الوحيد الذي يدفع الثمن وينتظر هدوء العاصفة السياسية، حتى يعمّ الأمن والسلام؛ ولا أتصور أن هذا سيحدث.

من يريد إشعال الفتنة خسر وخاب وأفلس وأولهم البعثيون وآخرهم الذين قدموا من الجهات الأربع وهم معبّأون بالأسلحة والأجندات التي أفسدت ما كنا نحلم به بعد سقوط الفاشست البعثي، ومن الطرف الآخر الذين يتشابهون ويلتقون ضمنياً معهم، ولكنْ بوجه آخر في القتل واللصوصية والخداع والضحك على الذقون واستدراج الناس البسطاء إلى حافة الصراعات، وأقصد من هو في الركب الثاني، من أكبرهم إلى أصغر لص أو قاتل مأجور، وهناك أيضاً. حتى لا ننسى. أولئك الذين يجيدون فنّ تغيير الأقنعة وفق ما تتطلبة "لعبة الموت"، فهم يتقنون فن الرقص على الحبال في سبيل الوصول إلى كرسيّ الحكم.

لا بديل، فقد يئست الأمة العراقية بجميع أطيافها وكتلها ومشاربها، لا شيء يلوح في الأفق، لم يتبقّ سوى وهم وحلم مبدد، تراجعت كل الولاءات، تدافعت نحو حائط الخوف، النفوس التي كانت تتمنى سقوط الطاغية، أصبحت محاطة بالطغاة، الجميع يبحث عن حل لاستتباب الأمن، والأحزاب تتناحر على السلطة، الماكنة توقفت، وكل الاعتبارات أخذت تنحو إلى الهاوية.

ربما سيعود الربيع العراقي الذي بدأ من هنا في زمن الطاغية، عام ١٩٩١في الانتفاضة الآذارية، البداية كانت من هنا، ولكلّ فعل ردٌّ فعل، فالأرض التي تشرق الشمس عليها دائماً لا تموت، ودورة الفصول ستعود ثانية، يومها تكون ساعة الحساب عسيرة، عندئذ لا يمكن أن يهرب الذين خدعونا لأن الشعب العراقي سيكون يداً واحدة.